أ. رياض بن يوسف

مقياس النقد المعاصر

تطبيق

س 2 ليسانس

الفوج 4

شعبة الدراسات الأدبية

المنهج البنيوي

مفهوم البنية

اشتُقتْ كلمة بُنْية في العربية من الفعل الثلاثي " بنى " الذي يدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء.

وفي اللغة الفرنسية اشتقت كلمة structure من الكلمة اللاتينية Structura و فعلها struere ويعني بنى وشيد أيضا .

أما اصطلاحا فيعرفها **لويس هيالمسليف Louis Hjelmslev (1899-1965)** بأنها :" كيان من التعالقات Dépendances الداخلية "، و البنية بهذا المفهوم تختلف عن الذَرَّة التي لا ترتبط بأية ذرّة أخرى.

و من أشهر تعريفات البنية ما قدمه **جان بياجيه Jean Piaget (1896-1980)** حيث يعرفها باعتبارها " نسقًا من التحولات يحتوي على قوانينهِ الخاصةِ، علمًا بأنَّ من شأنِ هذا النسقِ أن يظلَّ قائمًا ويزدادَ ثراءً بفضلِ الدور الذي تقومُ به هذه التحولاتُ نفسُها، دون أن يكونَ من شأنِ هذه التحولات أن تخرجَ عن حدودِ ذلك النسقِ أو أن تستعينَ بعناصرَ خارجية، وبإيجاز فالبنيةُ تتألفُ من ثلاثِ خصائصَ: هي الكليةُ (أو الشمولية) Totalité والتحول Transformationوالضبط الذاتي Auto-réglage ".

و تعني سمةُ الكُلِّية ارتباط كل عنصر من عناصر البنية ببقية العناصر ، أما عن خاصيةِ التحولاتِ، فإنها توضحُ القانونَ الداخليَّ للتغيراتِ داخلَ البنيةِ التي لا يمكنُ أن تظلَ في حالةِ ثباتٍ؛ لأنها دائمةُ التحولِ و يضرب بياجيه لذلك مثلا ، لكونه عالم نفس ، بتحوُّلات الطفل من مرحلة إلى مرحلة و كل مرحلة تتَّسم بالكلية.و يعني الضبط الذاتي أن التحولات داخل البنية ممكنة انطلاقا من القوانين التي تحكمها.

و يعرف **كلود ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss (1908-2009)** البنية بأنها :"نسق يتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى "

. و من مجموع التعريفات السابقة نستخلص أن البنية هي نسق أو نظام من العلاقات الداخلية بين مجموعة من العناصر تخضع لقوانين خاصة في علاقاتها و تحولاتها .

أما **البنيوية** فهي كما يقول جان بياجيه منهج و ليست مذهبا ، لكن تحديدها بتعريف واحد أمر شديد الصعوبة لأنها في الواقع بنيويات لا بنيوية واحدة ، و هذا يفرض علينا تتبع مسار المفهوم في تطوره التاريخي.

جذور البنيوية

1- اللسانيات:

يرجع الدارسون الفضل في نشأة الدراسات البنيوية إلى عالم اللغة السويسري **فرديناند دي سوسير** Ferdinand De Sassure (1857-1913) فآراؤه في التفرقة بين اللغة والكلام ، والدال والمدلول ، وفي أولوية النسق أو النظام على باقي عناصر الأسلوب ، وفي التفرقة بين التزامن والتعاقب هي التي أسست لنشأة الدراسات البنيوية ، رغم أن دوسوسير نفسه لم يستخدم مصطلح البنية بل استخدم مصطلح النسق " أو النظام" "Systeme ".

و لا يمكن تجاهل اللساني الأمريكي **ليونارد بلومفيلد** Leonard Bloomfield (1887-1949) رائد الدراسة السلوكية للغة ، و مؤسس المدرسة التوزيعية في اللسانيات ، حيث رفض الدراسات السابقة للغة و اقترح أن يتم درسها بوصفها سلوكا فيزيولوجيا إزاء مؤثرات خارجية ، و قد اعتمد بلومفيلد على المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف اللغة في حقبة زمنية محددة دون معايير قبلية.

2- الشكلانيون الروس:

اهتم الشكلانيون الروس، حصريا، بالعلاقات الداخلية للنص و رأوا أن موضوع الدراسة ينبغي أن ينحصر في ما أسماه جاكبسون أدبية الأدب، وتتكون الأدبية بشكلٍ عام من الأساليب والأدوات التي تميز الأدب عن غيره ،لهذا رفضوا ربط النص الأدبي بسياقاته الاجتماعية و النفسية و التاريخية.

و قد كان للشكلانيين الروس تأثير هائل على تطور النقد الأدبي البنيوي في فرنسا ، و لا سيما السردي منه ، بعد أن عُرفت أعمالهم بفضل ترجمة تودوروف لها سنة1965.

3- حلقة براغ اللغوية:

تأسست "حلقة براغ اللغوية"في السادس من أكتوبر عام (1926م)، ويرجع فضل تأسيسها إلي **فيليم ماثيسيوس** Vilém Mathesius (1882-1945) الذي دعا إلى دراسة اللغة بطريقة تختلف عن الدراسة التاريخية ، فقد كان من مؤسسي الدراسة الوظيفية الوصفية للغة. و قد ضمت مدرسة براغ بالإضافة إلى التشيكيين مجموعة من الشكلانيين الروس هم **نيقولاي تروبتسكوي** Nikolaï Troubetzkoï (1890-1938) و **سيرغي كارتسفسكي** Sergueï Kartsevski (1884-1955) و **رومان جاكوبسون** Roman Jakobson (1896-1982) .

و قد صاغ أعضاء المدرسة منهج دراستهم اللغوية تحت عنوان "النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية" و قدموه لمؤتمر علماء اللغة بلاهاي سنة 1928.

ومن أهم أسس البحث اللغوي عند مدرسة براغ:

1- الاهتمام بالمنهج التزامني (الوصفي) في الدراسة اللغوية، لأنه يمكننا من التحليل العلمي المنظم لأي لغة كانت، بدائية أم متحضرة.

2- العمل على رصد الخصائص اللغوية لكل لغة في مراحل مختلفة من تطورها على أساس تزامني.

3- عند عمليات المقارنة اللغوية بين اللغات لابد من الاعتماد على أسلوب المقارنة التحليلية للغات ذات النماذج المختلفة من دون إشارة إلى علاقاتها التاريخية.

4- وبالنسبة للغات الحية، فإنه ينبغي العمل عليها في المرحلة المعاصرة لأنها المرحلة الوحيدة التي تقدم للباحث مادة واضحة كاملة.

5- الاهتمام بالدراسات الصوتية في ضوء المنهج التزامني.

البنيوية في العلوم الإنسانية :

لقد تطورت البنيوية انطلاقا من أعمال كلود ليفي شراوس في الأنثروبولوجيا و قد تأثر هو بدوره بأعمال اللغويين سابير و بلومفيلد و جاكوبسون ، و قد أدى نجاح شتراوس بالكثير من المتخصصين في العلوم الإنسانية إلى تقليده ، مثل المؤرخ **جورج دوميزيل** Georges Dumézil (1898-1986) الذي استخدم المنهج البنيوي في دراسة التاريخ ، و **لوي ألتوسير** Louis ALthusser (1918-1990) الذي استخدم المنهج البنيوي في تحليل الفلسفة الماركسية كما فعل في كتابه الشهير " قراءة رأس المال Lire Le capital " الذي ألفه مع **إتيين باليبار**، و كما فعل **جاك لاكان Jacques Lacan** (1901-1981) الذي أحدث ثورة في مدرسة التحليل النفسي حين استخدم المنهج البنيوي معتبرا بنية اللاشعور مثل بنية اللغة. كما كان جان بياجيه من أبرز البنيويين و قد وظف المنهج البنيوي بنجاح في دراسته التخصصية عن علم نفس الطفل ، و نال احترام الأوساط الأكاديمية في العالم أجمع.

و من أبرز الفلاسفة الذين وظفوا المنهج البنيوي **ميشال فوكو Michel Foucault** (1926-1984) الذي يرى في كتابه " الكلمات و الأشياء Les mots et les choses" أن موت الإنسان و محو الذات هما أقصى غاية تصل إليها العلوم الإنسانية و هذا ما يسمح به المنظور البنيوي.

أما **جاك ديريدا Jacques Derrida** (1930-2004) فيمثل تيار ما بعد البنيوية و قد أسس المدرسة التفكيكية التي ترفض سلطة المركز ، و قد انتقد في مُؤَلَّفَيْه " علم الكتابة De La Gammatologie " و " الكتابة و الاختلاف L'écriture et La différence " المدرسة البنيوية لاتِّباعها دوسوسير الذي يدعو حسب ديريدا إلى مركزية الفونيم Phonocentrisme فهو يفضل الجانب الصوتي من اللغة على جانبها المكتوب جاعلا من الكتابة علامة على علامة" le signe d'un signe"

المنهج البنيوي في النقد الأدبي:

من أشهر رواد النقد البنيوي و ما بد البنيوي رولان بارت Roland Barthes (1915-1980) الذي يضع القارئ في مركز الدائرة ، ويجعله مساهما في إبداع النص وليس مجرد قارئ عادي ، و هو يقصد هنا القارئ المثقف الذي يستطيع محاورة النص و استنطاق خباياه و التلذذ به، و لهذا دعا إلى تحرير النص من سلطة المؤلف ، بل أعلن موت المؤلف في مقالة تحمل هذا العنوان نشرها سنة 1968 ، و هذا الموت يعني ميلاد القارئ و انفتاح النص الأدبي على آفاق التأويل.

لكن بارت لم يتقيد في دراساته التطبيقية بالمنهج البنيوي، حرفيا ، بل استثمر المنهج السيميائي و كان أحد رواده ، و استثمر المنهج التأويلي " الهرمينوطيقا" كما في دراسته لقصة بلزاك "سارازين" ، فهو يستخدم في دراسته هذه خمس شفرات (أكواد) كما سماها و منها الشِّفرة الهرمينوطيقة و الشفرة السيميائية و الشفرة الرمزية.

من أهم كتبه مقالات نقدية Essais critiques من عدة أجزاء ، الدرجة الصفر للكتابة ، لذة النص ، نقد و حقيقة....الخ.

و من أهم النقاد البنيويين في مجال السرد، حصرا، **جيرار جينيت Gérard Genette (1930-....)** الذي قدم أكمل نظرية نقدية بنيوية سردية " السرديات أو علم السرد" و قد اقترح دراسة الأعمال السردية وفق المخطط التالي:

الترتيب: أي الفرق بين زمن القصة و زمن الحكاية ، و هذا الفرق يؤدي إلى المفارقات الزمنية التي تنتج إما الإستباق أو الاسترجاع.

المدة: بعد أن يلاحظ جينيت استحالة قياس زمن الحكاية ، يقترح ما يسميه بالحركات السردية الأربع و هي :المجمل ، الوقفة ، الحذف ، المشهد

التواتر: يعني علاقات التكرار بين الحكاية و القصة، و هناك حسب جينيت أربعة أنماط من علاقات التواتر: 1-أن يروى مرة واحدة ما وقع مرة واحدة2 -أن يروى مرات لا متناهية ما وقع مرات لا متناهية 3- أن يروى مرات لا متناهية ما وقع مرة واحدة 4-أن يروى مرة واحدة (بل دفعة واحدة) ما وقع مرات لا نهائية

الصيغة: فالحكاية تبدو على مسافة بعيدة أو قريبة مما ترويه ، و هناك نوعان من الحكاية كما يقول جينيت ، في سياق الحديث عما سماه المسافة ، حكاية الأحداث و حكاية الأقوال.

ثم يتحدث جينيت عن المنظور و هو ما عرف في النقد الحديث منذ نهاية القرن التاسع عشر تحت مسمى وجهة النظر و يقترح له مصطلح التبئير.

و من أبرز النقاد البنيويين أيضا تزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov، و جوليا كريستيفا Julia Kristeva.

البنيوية التكوينية :

رائداها هما لوسيان غولدمان Lucien Goldmann (1913-1970) و جورج لوكاتش Georg Lukács (1885-1971) . و هي تهدف إلى التوفيق بين البنيوية و الماركسية .

يدعو غولدمان إلى تبني منظور شامل يقوم على التحليل الداخلي للنتاج الأدبي، وعلاقته بالبنى التاريخية والاجتماعية و كذلك بالسيرة الذاتية للمبدع، كأدوات مساعدة على التحليل.و هو يقترح مصطلح رؤية العالم ، الذي أخذه من جورج لوكاتش ، و يعني به النسق الفكري الذي يسبق عملية تحقق الإنتاج الأدبي ، فكل عملية إبداعية لا بد لها من الصدور عن نظام أو نمط فكري معين بوصف الكاتب فردا من المجتمع.

أما جورج لوكاتش فإن أبرز ما قدمه في النقد الأدبي هو كتابه " نظرية الرواية" و قد قسم فيه الرواية إلى ثلاثة أنواع:

أ – الرواية المثالية المجردة : التي تتميز بسذاجة البطل وبوعيه المحدود إزاء العلاقات المعقدة للعالم.و تمثلها رواية "دون كيخوته" لثربانتس (أو سرفانتس).

ب – الرواية السيكولوجية : التي تتوجه نحو العالم الداخلي للبطل الذي يتميز بسلبيته وعدم رضاه ، متجاوزا رداءة الواقع وتمثلها رواية "التربية العاطفية" لفلوبير.

ج – الرواية التربوية أو التعليمية: المتسمة بالنضج الرجولي للبطل، حيث يبدو متكيفا مع الموضوع و متصالحا مع الواقع وتمثلها رواية : "سنوات تعلم فلهلم مايستر"لجوته.

المنهج الأسلوبي (الأسلوبية)

الأسلوبية مصدر صناعي من الأسلوب. وجذر هذه الكلمة الثلاثي هو: سَلَبَ و يعني انتزاع الشيء وأخذه والاستيلاء عليه ، و جاء في لسان العرب أن الأسلوب " هو السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب ، والأسلوب هو الفنّ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه."

أما في اللغات الأوروبية فإن كلمة Style أو Stile كانت تعني نوعا من الأقلام Poinçon كان له طرفان حاد و عريض يكتب بطرفه الحاد على الشمع ، و يحذف ما كتب ، عند الضرورة ، بطرفه العريض ، و قد انتقل المعنى عبر المجاز من الأداة إلى طريقة الكتابة و أول من استعمل هذه الكلمة بمعناها المجازي هو شيشرون في القرن الأول قبل الميلاد.

و قد استخدم علماء العربية و نقاد شعرها قديما هذه الكلمة في معان قريبة مما تستخدم فيه اليوم ، فابن قتيبة مثلا يقول : "إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب " ، و عبد القاهر الجرجاني يعرف الأسلوب بأنه: " الضرب من النظم والطريق فيه ".

الأسلوبية:

هي منهج تحليلي للأعمال الأدبية، يقوم حسب تعريف ميشال أريفي لها:بِ" وصف النص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات" ، أو هي كما يقول منذر العياشي :" علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها- أيضاً- علم يدرس الخطاب موزعاً على مبدأ هوية الأجناس؛ ولذا، كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات " أو هي كما عرفها جاكوبسون : " البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا ، و عن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا ".

نشأت الأسلوبية الحديثة في القرن العشرين ، ويرجع الفضل الأول في ظهورها إلى العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (1857-1913)Ferdinand De Saussure حيث فرق بين اللغة والكلام بوصف اللغة نتاجا اجتماعيا ، و الكلام نتاجا فرديا. ثم جاء تلميذه شارل بالي Charles Bally الذي بدأ بإرساء قواعد الأسلوبية منذ سنة 1902 محررا الأسلوبية من هيمنة البلاغة التقليدية المعيارية.

لكن أسلوبية شارل بالي هي أسلوبية لغوية ، فهي كما يعرفها في كتابه اللغة و الحياة الصادر سنة 1913 " تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية ، أي أنها تدرس التعبير عن وقائع الحساسية بواسطة اللغة

، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية " فأسلوبية بالي تتناول وقائع التعبير اللغوي من حيث مضامينها الوجدانية أي الكيفية المتبعة في اللغة للتعبير عما في النفس . و قد عرفت بالأسلوبية التعبيرية.

أبرز المدارس الأسلوبية:

1- **الأسلوبية التعبيرية:** أي أسلوبية شارل بالي التي سبق لنا تناولها ، لكن من جاؤوا بعده طوروها لتشمل دراسة النصوص الأدبية ، و منهم جيل ماروزو Jules Marouzeau، و مارسيل كريسو Marcel Cressot.

2- **الأسلوبية الوظيفية:** و تعنى بدراسة الانزياح ، L'écart و يترجم أيضا بالعدول و الانحراف ، أما جاكبسون فيسميه خيبة الانتظار ، بينما يسميه جون كوهين Jean Cohen الانتهاك ، و معنى الانزياح هو الخروج عن المعايير و القواعد المتعارف عليها لا جهلا بها بل انتهاكا لها ، و لهذا يسميه "برونو" الخطأ المقصود. و من نماذج هذا الانزياح عبارة رامبو الشهيرة " J'est un autre " ، لكن الواقع أن اللغة الأدبية كلها تعد انزياحا عن اللغة الاجتماعية المعيارية.

3- **الأسلوبية الإحصائية:** و تقوم على إحصاء ظواهر أسلوبية أو سمات أسلوبية معينة تتكرر في النص ، كالجمل الفعلية أو الاسمية ، و كلمات معينة ،أو حروف محددة، أو ظاهرة إيقاعية أو صوتية ، أو صيغ صرفية ....الخ ، بهدف تحديد خصائص أسلوب كاتب ما ، أو البؤرة الدلالية لنصه ، أو المقارنة بين أسلوبين متباينين ...الخ. لكن الأسلوب الإحصائي غير كاف و لا شاف و لا بد أن تعضده أساليب أخرى في الدراسة.

4- **الأسلوبية البنائية:** تسمى الأسلوبية الهيكلية أيضا ورائدها الناقد الأدبي البنيوي الأمريكي ، الفرنسي الأصل ، ميكائيل ريفاتير الذي أصدر كتابه "مقالات في الأسلوبية البنيوية" سنة 1970 . و قد اهتم ريفاتير بالسمات الأسلوبية الفردية في النص الأدبي ، و ردود فعل القارئ إزاء النص الأدبي بوصفه نصا غامضا مخالفا للمألوف مما يؤدي إلى تشكل المعنى بالتدريج في ذهن القارئ من خلال سعي هذا الأخير إلى تأويل النص و هذا ما يسميه ريفاتير بالتمعني La Signifiance.

5- **الأسلوبية الأدبية:** رائدها هو النمساوي ليو سبيتزر Léo Spitzer و قد انطلق من قاعدة أساسية عنده و هي أن المنهج ينبع من الإنتاج وليس من مبادئ مسبقة ، وكل عمل أدبي مستقل بذاته. كما أن الإنتاج الأدبي عنده كل متكامل، وروح المؤلف هي المحور الشمسي الذي تدور حوله بقية كواكب العمل ونجومه، ولابد من البحث عن التلاحم الداخلي. كما أن النقد الأسلوبي عند سبيتزر ينبغي أن يكون نقداً تعاطفياً بالمعنى العام للمصطلح .

الأسلوبية و اللسانيات:

بدأت الأسلوبية فرعا من اللسانيات ، و لكنها حاولت الاستقلال عنها من خلال دراسة اللغة الأدبية أي الخطاب ، عكس اللسانيات التي اهتمت بالجملة ، لكن اللسانيات نفسها تطورت و أصبحت تدرس النص متجاوزة الجملة مما جعل الأسلوبية ، إلى اليوم ، تعجز عن الاستقلال عن مهدها الأصلي أي اللسانيات.

الأسلوبية و البلاغة:

كانت الأسلوبية تعد امتدادا للبلاغة لكنها في الوقت نفسه ثورة على معياريتها و سكونيتها ، و رغم الفروق بينهما فثمة ما يجمعهما فكل منهما اهتمت بظاهرة الانزياح أو العدول ، كما أنهما اهتمتا بالنص الأدبي و علاقته بالنحو مثلما يتجلى ذلك في علم المعاني.أما أهم فرق بينهما فهو أن البلاغة تهتم بالجزئية أو الشاهد ، بينما تتناول الأسلوبية النص بوصفه كلا لا يتجزأ.

الأسلوبية في النقد العربي:

ربما كان أهم ناقد عربي تمثل مبادئ المنهج الأسلوبي هو عبد القاهر الجرجاني الذي عاش في القرن الخامس الهجري ، أي أنه سبق عصره بمئات السنين ، و تتمثل إضافته في نظرية النظم التي نجد شرحها في قوله:" تعليق الكلم بعضها ببعض،وجعل بعضها بسبب من بعض ،والكلم ثلاث:اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، لا يعدو ثلاثة أقسام:تعلق اسم باسم،تعلق اسم بفعل،تعلق حرف بهما" .و لا يكاد تعريف الجرجاني للنظم يختلف عما يسميه جاكوبسون ب: " إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع".

أما من المعاصرين فنذكر أحمد الشايب ، و عبد السلام المسدي ، و منذر العياشي ، و صلاح فضل ، و شكري عياد ، و غيرهم و تتمثل جهودهم إما في محاولة تأصيل الأسلوبية في الدرس العربي ، خاصة عند عبد القاهر الجرجاني ، أو في عرض الأسلوبية الغربية و تقريبها للقارئ العربي ، و ممن أشهر الدراسات الأسلوبية التطبيقية التي تعد نموذجا ناجحا دراسة الناقد التونسي محمد الهادي الطرابلسي المعنونة ب:"خصائص الأسلوب في الشوقيات".